تصدير

للدكتور إبراهيم أنيس

أستاذ ورئيس قسم « فقه اللغة واللغات السامية والشرقية »

بكلية دار العلوم — جامعة القاهرة .

جاء الإسلام فشهد فى جزيرة العرب بيئتين متميزتين : بيئة بدوية متوغلة فى البداوة ، وأخرى حضرية اتسمت بالاستقرار فى المدن والقرى .

ففى نجد ووسط الجزيرة وشرقيها سادت حياة البداوة ، فكان البدو فى هذه المناطق ينتجعون الكلأ ، ولا يكادون يستقرون فى مساكن ، بل ينتقلون فى أرجاء تلك الصحارى الشاسعة ، ويرحلون من مكان إلى مكان طلباً للرزق ، أو شن الغارات . وقد ألفوا حياة الخيام ، وصبغت مجتمعاتهم بصبغة خاصة فى مأكلهم وملبسهم وسلوكهم . وكان لكل هذا صدى فى طريقة نطقهم بالأصوات العربية .

أما أهل الحضر فى معظم مدن الحجاز وقراه فقد هذبت من طباعهم حياة الاستقرار ، وأصبح لهم نظام اجتماعى أرقى كثيراً مما كان سائداً بين البدو . وحين نصف بعض عرب الجزيرة قبل الإسلام بالحضر لا نعنى أكثر من أن أهله قد ألفوا حياة المدن ، من منازل مشيدة ، وأسواق مستقرة وأمكنة للعبادة ، وأندية للندوات . وكان لحياة الاستقرار فى الحضر أثر واضح فى سلوكهم ، وبالتالى فى نطقهم .

وتبين لنا الفرق بين البيئتين من حيث النطق بأصوات اللغة ، حين استعرضنا ماروى من أمثلة لهؤلاء وهؤلاء ، فبينما يميل البدوى إلى الجهر بالصوت فى تلك الصحراء الشاسعة يميل الحضرى إلى همسه ؛ لأنه تعود الحديث بين أربعة جدران فى غالب الأحيان ، وبينما يميل البدوى إلى الصوت الانفجارى الشديد يميل الحضرى إلى النظائر الرخوة التى تتطلب أناة فى النطق . كما ظهرت لنا صفات نطقية أخرى تميز بين البدو والحضر .

وقد وصفت لنا آيات القرآن الكريم هاتين البيئتين وميزت بينهما فى الطباع والسلوك ، فحين يشير القرآن الكريم إلى الأعراب إنما يريد أولئك البدو المتوغلين فى البداوة ، الذين قاسى منهم الإسلام فى أوائل عهده محناً كثيرة . أما أهل الحضر فهم الذين نشأت فيهم اللغة العربية المشتركة النموذجية الأدبية ، التى نزل بها القرآن الكريم ، واصطنعت فى كل المجالات الجدية من شعر وخطابة وهى فى أكثر صفاتها تشبه ما نألفه فى كل لغة حضرية . ذلك لأن أصواتها الرخوة أكثر عدداً من الأصوات الانفجارية الشديدة ، وأصواتها المهموسة أكثر شيوعاً منها فى البيئات البدوية ، إلى غير ذلك من صفات تجعل الدارس الحديث يقرر أن اللغة المشتركة لغة حضرية ، وإن عبرت عن بيئة بدوية فى أكثر الصور والأخيلة . فهى حين تقارن باللغات الحضرية من حيث أصواتها وصيغها وتراكيبها نجدها أقرب شبهاً إلى لغة الحضر الذين عاشوا حياة مستقرة ، وألفوا طرقاً خاصة فى النطق والأداء .

عاشت إذن عربية البدو وعربية الحضر جنباً إلى جنب قبل الإسلام وفى عهد الإسلام ، ونظر الخاصة من العرب فى هذه العهود إلى لغة البدو على أنها أدنى منزلة من لغة الحضر . يدل على هذا أمثال تلك الروايات التى منها مايقال فيها : « سأل معاوية يوماً : من أفصح الناس؟ فقال قائل : قوم ارتفعوا عن لَخْلَخانيَّة الفرات ، وتيامنوا عن كشكشة تميم ، وتياسروا عن كسكسة بكر ، ليست لهم عَجْعَجة قضاعة ولا طُمطمانية حمير . قال من هم ؟ قال : قريش » .

وقريش هنا — فى رأيى — رمز للبيئة الحجازية ، بيئة الحضر التى نمت فيها اللغة الأدبية المشتركة ، ومنها انتشرت فى جميع أنحاء شبه الجزيرة .

غير أنه لم يكد ينقضى القرن الثانى من الهجرة حتى شهدنا علماء العربية فى الأمصار يقفون موقفاً معكوساً من البيئتين ، ينسبون الفصاحة للأعراب الجفاة الذين كانوا يفدون إلى الأمصار ، ويرون أن أهل الأمصار لاختلاطهم بالعناصر الأجنبية ، وبعدهم عن مهد العربية ، قد فسدت لغتهم ، أو على الأقل ليسوا على مستوى واحد من الفصاحة مع البدو . ذلك لأن علماء العربية من القدماء كانوا يربطون بين السليقة اللغوية والجنس العربى ربطاً وثيقاً ، ويرون أن الأعراب لانعزالهم فى الجزيرة قد احتفظوا بكل صفات الفصاحة ، فكأنهم قد ورثوها عن آبائهم وأهليهم من أصحاب اللغة ، أو أرضعوها فى ألبان أمهاتهم ، أو كأنما كانت تلك الفصاحة العربية تمتزج بحياة الخيام ورمال الصحراء .

وبلغ ببعض هؤلاء العلماء أن كان يقول للأعرابى البدوى حين يقيم فى الأمصار شهوراً : « لان جلدك يا أبا فلان » أى لم تعد أهلاً لأخذ اللغة عنك .

ولم يدر بخلدهم أن ما يسمى بالسليقة اللغوية عملية مكتسبة لا أثر للوراثة أو الجنس فيها . ويكفى هنا أن نتذكر تلك الروايات التى تعرض لقصص المنافسة بين العلماء الأجلاء فى حضرة الخلفاء والأمراء ، ويُحتَكم فى كل منها لأحد الأعراب الواقفين بباب الخليفة أو الأمير .

وبرغم هذا ظلت كتب القدماء تحدثنا عن مستويين لألفاظ اللغة وصيغها : مستوى أعلى ومستوى أدنى ، وتشير إلى المستوى الأدنى على أنه لهجة قوم من العرب يذكرون أسماءهم حيناً ، ويتجاهلونها أحياناً . وهكذا جاءتنا تلك الإشارات السريعة المتناثرة فى كتب القدماء بما يسمى بلهجات العرب ، ومنها ما اعتزوا به وأشادوا بذكره ، ومنها ما استنكروه ولم ينوهوا به .

والذى نرجحه الآن أنه كان للعرب حتى قبل الإسلام مستويان فى اللغة ، مستوى أدبى تمثله لغة القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وشعر الشعراء ، وخطب الخطباء وما كتبه الكتّاب ، وتلك هى اللغة التى ندعوها باللغة العربية المشتركة النموذجية الأدبية ، أما المستوى الآخر فهو مستوى الكلام العادى أو لهجات الخطاب التى اختلفت فيها القبائل بعض الاختلاف ، والتى تضمنت صفات محلية سماها العلماء القدماء لغات العرب أو لهجاتهم . وقد روت لنا كتب القدماء والمتأخرين قدراً ضخماً من الروايات التى تشير لتلك اللهجات ، وأمكن للدارسين فى العصر الحديث أن يجمعوا معظم ما روى عن تلك اللهجات القديمة وأن يصفوها وصفاً علمياً صحيحاً فى ضوء النظريات الصوتية الحديثة . أى أن الصورة التى كانت عليها تلك اللهجات قد اتضحت ملامحها — أو كادت — بفضل تلك الدراسات التى قام بها المحدثون .

ولدينا الآن من الإمكانيات فى الكليات الجامعية ما ساعد على الكشف عن تلك اللهجات أو كثير منها . فأصبحنا نعنى بها كل العناية ، ونخصص لها أقساماً مستقلة فى بعض الكليات الجامعية ، ونوقشت فيها عدة رسائل علمية .

هذه اللهجات العربية القديمة هى التى وفدت مع أهلها إلى الأمصار بعد الفتح الإسلامى ، وشكلت كلام كل مصر بشكل خاص ، لاسيما بعد اصطدامها باللغات التى كانت سائدة فى تلك

الأمصار ، وخروجها من هذا الصراع منتصرة ، ولـكن فى نفس الوقت متأثرة بشىء من صات تلك اللغات المندثرة .

ومع أننا الآن قد قطعنا شوطاً بعيداً فى دراسة اللهجات العربية القديمة كما تصورها كتب اللغة والنحو ، فإن معرفتنا لهذه اللهجات لا يمكن أن تكمل إلا إذا صحبتها دراسة مستفيضة للهجات العربية الحديثة أيضاً .

لهذا اتجه كثير من الدارسين فى العصر الحديث لدراسة اللهجات العربية الحديثة وأسهم فى هذا بعض المستشرقين بجهود موفقة ، ولـكن دراستنا لها لا تزال بحاجة إلى المزيد من البحوث .

ولعل من أهداف دراسة اللهجات العربية الحديثة :

أولا : أنها تصحح لنا كثيراً من تلك الروايات التى جاءتنا مبتورة حيناً وممسوخة حيناً آخر فى إشارتها للهجات أجدادنا من العرب . فلن تتضح الصورة كل الوضوح عن تلك اللهجات القديمة إلا حين تدعم بالدراسات الحديثة . فإذا تجلت لنا تلك الصورة ، وبدت معالمها بما لا يدع مجالا للشك استطعنا الوقوف على معالم ما يسمى بأدب القبيلة ، وأساليب العرب القدماء فى خطابهم بعضهم مع بعض ، وأغانيهم ودعاباتهم ممثلة فيما روى من أراجيز . بل يستطيع الدارس التعرف على كثير من العادات والمظاهر الاجتماعية للقبائل . . هذا إلى أن معرفتنا الدقيقة لظواهر اللهجات العربية القديمة ستمدنا بفيض من المعلومات الصحيحة عن لغتنا العربية المشتركة التى أساء بعض علماء العربية من القدماء الحـكم على ظواهرها وقواعدها ، بسبب الخلط بين نصوصها وما روى عن تلك اللهجات فى بعض الأحيان . فقد جاءتنا كتب النحاة واللغويين بمزيج عجيب من القواعد ، حين حاولوا تفسير ظواهر اللغة المشتركة ، وتقعيد قواعدها ، بتأسيس ذلك على نصوص من اللهجات ، ونصوص من اللغة المشتركة ، فجاءت نتائجهم واستنباطاتهم فى أحيان كثيرة مضطربة متعددة الوجوه فى الظاهرة الواحدة ، الأمر الذى يجب أن ننزه عنه لغة القرآن والحديث والشعر ، تلك اللغة الأدبية المنسجمة المطردة . أى أن الدراسة العلمية الدقيقة للهجات القديمة تمكن الدارس من إعادة النظر فى بعض ماورد فى كتب النحاة واللغويين ، ليحسن عرضه وتفسيره التفسير العلمى الصحيح .

ذلك لأن اللهجات العربية الحديثة قد انحدرت فى أكثر ظواهرها من لهجات أجدادنا ، وورثنا

عنهم مانسميه بالحس اللغوى العربى ، الذى مكننا فى العصر الحديث من قياس كثير من المسائل التى لم تسمع من العرب ، ولم ترو عنهم ، على أساس ماروى عنهم . وقد احتفظت هذه اللهجات الحديثة بكثير من ظواهر اللهجات القديمة دون تغيير فيها أو تطور لها ، ويدرك هذا تمام الإدراك الدارسون لما تمت دراسته من ظواهر اللهجات قديمها وحديثها .

أما ماتطور فى ألسنتنا ، سواء كان من حيث الأصوات أو بنية الكلمات ، أو دلالاتها ، أو تركيب الجمل ، ففى مثل هذه النماذج نجد الدليل الواضح على الاتجاهات التطورية التى مرت بها لهجاتنا على اختلاف العصور . ويعنى الآن أصحاب علم اللغة العام بالتعرف على تلك الاتجاهات التطورية فى كل لغة ، ومن مجموعها فى كل اللغات يستطيع دارس علم اللغة الوقوف على قوانين التطور اللغوى و نظامه فى لغات البشر ، تلك الحقيقة العلمية التى لانزال نفتقد كثيراً من تفاصيلها ، و نعمل نحن اللغويين على تأسيس نظريات سليمة بصدد هذا التطور .

ثانياً : تتجه الكليات الجامعية فى كثير من الأمم الناهضة إلى دراسة لهجاتها الحديثة ، لأنها تمثل تطوراً تاريخياً تحرص الأمة على تسجيله قبل أن يصيبه تطور آخر أو يندثر . ولا ندهش لذلك أن يعكف كثير من اللغويين فى تلك الأمم على دراسة اللهجات الحديثة دراسة وصفية ، فتراهم يصفون أصواتها وصفاً علمياً دقيقاً ، ويصفون صيغها ويضبطونها ، ويستعينون فى هذه الدراسة بأجهزة التسجيل ومعامل التجارب الصوتية ، كما يرسمون خرائط موضحة لكل ظاهرة من ظواهر اللهجة العامة ، بل فى بعض الأحيان لكل كلمة من كلماتها ، خريطة تبين دلالتها أو كيفية النطق بها فى كل منطقة من مناطق هذه اللهجة . . وقد تألفت من هذه الخرائط أطالس ضخمة فى بعض الجامعات الأوربية .

ـ ويجد اللغوى الحديث متعة فى دراسة اللهجات الحية والكشف عن ظواهرها وأسرارها ، بصرف النظر عما يمكن أن يترتب على مثل هذه الدراسة من نفع عاجل لأمته ، وإنما حباً وشغفاً بالبحث الأكاديمى البحت .

ونحاول نحن أبناء العرب أن ندرس لهجاتنا الحديثة ، فى كلياتنا ومجامعنا اللغوية ، لعلنا نحقق الأهداف التى حققتها الجامعات العظيمة فى العالم ، ولكننا لم نقطع فى هذا المجال الشوط الذى نتطلع إليه ، برغم ما لدينا الآن من وسائل حديثة .

وإنه لما يؤسف حقاً أن كثيراً من كتّاب القصص عندنا والمخرجين للمسرحيات وأفلام السينما لايزالون يتخبطون بصدد هذه اللهجات الحديثة فى رسم الشخصيات رسماً صحيحاً فى رواياتهم وأفلامهم. فشخصية الريفى التى يرسمونها فى بعض الأحيان لا تكاد تمثل بيئة معينة من بيئاتنا المعاصرة فى نطقها أو كلامها ، بل تصور لنا فى صورة ممسوخة مشوهة فلاندرى أهو من الوجه البحرى أم من الوجه القبلى. وكذلك الشأن حين نشاهد شخصية فرضوا أنها من دمياط ، نراهم يخلطون بين لهجة دمياط ولهجة الإسكندرية مثلاً . وكل هذا لأن عملهم ارتجالى أسس على ملاحظات عابرة . ولسنا نلق باللوم على هؤلاء المخرجين بقدر ما نلقيه على الدارسين من اللغويين الذين أخفقوا حتى الآن فى تسجيل صور دقيقة عن لهجات البيئات المختلفة فى بلادنا . أى أن من نتائج دراسة اللهجات الحديثة القضاء على تلك الفوضى التى نلحظها فى أوساطنا الفنية حين يعمدون إلى رسم الشخصيات فى إنتاجهم الفنى .

وقد أدركنا منذ بدأنا نشجع على دراسة اللهجات العربية الحديثة ، أن البيئات العربية فى العصر الحالى يمكن أن تقسم أيضاً إلى بدو وحضر ، فاللهجات الحديثة بالمدن العربية الكبيرة تمثل فى أغلب ظواهرها لهجات الحضر ، برغم مابينها من فروق تميز لهجة من أخرى . واللهجات العربية الحديثة على مشارف الصحارى تمثل اللهجات البدوية . فلا نزال نلحظ الفروق الاجتماعية بين البيئتين . ولكنا تساءلنا : هل لهجات البدو فى صحراء مصر الغربية كلهجاتهم فى صحرائها الشرقية ؟ وهل نجد مايربط هذه اللهجات البدوية فى مصر بلهجات بدوية أخرى فى العراق والأردن ، أو حتى بلهجات البدو فى وسط الجزيرة ؟ وإزاء هذا التساؤل وجهت أحد تلاميذى إلى دراسة لهجات البدو فى صحراء مصر الغربية ، فأخرج لنا بعد الدرس والبحث والإقامة فى تلك المناطق ، هذا العمل العلمى الجاد ، الذى حصل به على درجة الماجستير فى الدراسات اللغوية من كلية دار العلوم جامعة القاهرة بتقدير « ممتاز » عام ١٩٦١ ، والذى يتفضل المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والمؤسسة المصرية للتأليف والنشر ، بنشره فى مشروع « المكتبة العربية » وصاحب هذا البحث هو الدكتور عبد العزيز مطر المدرس بكلية البنات بجامعة عين شمس ، والحاصل على الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى فى « فقه اللغة » .

ويسرنى بوصفى أستاذاً لصاحب البحث ، ومشرفاً عليه فى دراسته العليا أن أقدمه إلى قراء العربية ، وأن أنوه بجهده العلمى فى هذه الرسالة . ولولا أنى أشعر أن فى ثنائى على الدكتور

عبدالعزيز مطر وجهوده الجامعية الموفقة ثناء على نفسى،لأفضت فى هذا وعبرت عما يستحق بحثه من تقدير . لذلك أترك للمطلعين على هذه الرسالة بعد نشرها فرصة الحكم عليها حكماً محايداً .

على أن هذا الحرج الذى أحسه لايمنعنى من أقرر أن هذا البحث حلقة موفقة فى تلك السلسلة الدراسية التى نتطلع إليها بصدد دراستنا للهجات العربية الحديثة .

ففيه من الدراسة الصوتية للهجة هذه المنطقة ما يقنع الدارس الحديث ، وفيه من دراسة لبنية الكلمات ودلالاتها المحلية مايبعث على الدهش ، أو قل على الإعجاب .

وأخيراً — وليس آخراً — تضمنت الرسالة مجموعة كبيرة من نصوص هذه اللهجة ، ممثلة فى الأمثال الشائعة والقصص والأساطير ، والمنافرات والمحاورات ، والشعر البدوى والأغانى البدوية .

أما بعد .. فإنى أرجو مخلصاً أن يجد دارسو اللهجات فى نشر هذا البحث نموذجاً طيباً لدراسة اللهجة الحديثة ، وإسهاماً موفقاً فى المجال الدراسى الشائق .

كما أرجو أن يثير نشر هذا البحث بين المثقفين الرغبة والشوق إلى الوقوف على أسرار لهجاتنا الحديثة . وفى نهاية هذا المطاف أشعر أننا الآن على علم كاف بلهجة البدو فى صحراء مصر الغربية . ولا عذر لأحد من المخرجين فى المسارح والسينما حين يضل الطريق السوى فى رسم إحدى شخصيات هذه المنطقة ولهجتها ، بعد نشر هذا الكتاب . وبالله التوفيق .

أكتوبر ١٩٦٥ إبراهيم أنيس

مقدمة

هذه دراسة لغوية فى لهجة عربية حديثة . . .

ودراسة اللهجات مبحث جديد من مباحث « علم اللغة العام » اتجهت إليه جهود علماء الغرب ، واهتمت به مجامعهم ، وجامعاتهم ، حتى أصبح عنصراً مهماً فى الدراسات اللغوية فى القرن العشرين.

ولم يكن اهتمام علماء اللغات فى الغرب مقصوراً على اللهجات فى الأقطار الأوربية ، بل كان للهجات العربية ، قديمها وحديثها ، جانب من اهتمامهم . .

وأذكر على سبيل المثال طائفة من بحوث المستشرقين فى اللهجات العربية الحديثة :

فمن بين الدراسات فى اللهجة المصرية البحوث التى قام بها كل من :

المستشرق الإيطالى أ . نللينو (A. Nallino) والمستشرق الروسى م . نفروتسكى (M. Nawrotsky) والمستشرق الألمانى إ . ليتمان (Enno Littmann) .

وقد نشر فى الأعوام الأخيرة بحثان فى اللهجة المصرية أيضاً ، أحدهما للباحث الإنجليزى ت . ميتشل (T. Mitchell) وعنوانه « مقدمة فى العامية العربية فى مصر » طبع فى لندن سنة ١٩٥٦ ، والآخر للباحث الأمريكى ر . س . هاريل R. S. Harrell وعنوانه « أصوات العامية فى مصر » وطبع فى نيويورك عام ١٩٥٧ م .

وفى القطر السورى درس كانتينو Cantineau الفرنسى لهجة « تدمر » ولهجة « دمشق » .

وفى اللهجة اللبنانية نشر عما نوئيل ماتسون (E. Mattsson) بحثه « دروس صوتية فى اللهجة العامية فى بيروت » .

وفى لهجة فلسطين درس المستشرق الألمانى ما كس لور (M. Lohr) لهجة القدس .

وفى اللهجة العراقية درس مايسنر (Meissner) لهجة بغداد . ودرس المستشرق الروسى نيقولافتش برازين (E. N. Bérésine) لهجات الجزيرة وما بين النهرين .

وفى لهجات الحجاز واليمن نشر المستشرق الألمانى جورج كمبفاير (G. kampfmeyer) بحثاً عنوانه « لهجة قبائل اليمن وما جاورها من جنوب جزيرة العرب » كما نشر المستشرق الألمانى ج هس (J. Hess) بحثاً فى « لغة نجد الحالية » ، وقد تلى هذا البحث فى مؤتمر المستشرقين الذى عقد فى أثينا سنة ١٩١٢ م .

وفى لهجات شمال أفريقيا درس هوداس (Houdas) الفرنسى لهجة الجزائر ، كما درسها لويس جاك برنيه الفرنسى (L. J. Bresnier)

وبحث الدكتور أ . فيشر (A. Fischer) المستشرق الألمانى فى لهجة المغرب الأقصى ، وألف المستشرق الألمانى هانزستومه (Hans stumme) فى « النحو والصرف فى اللهجة التونسية » وفى « اللهجة الطرابلسية المغربية » . .

إلى غير ذلك من البحوث التى نشرت للمستشرقين فى مؤلفات خاصة، أو فى مجلات خصصت للغات الشرقية وآدابها ، كالمجلة الألمانية التى أنشأها الدكتور مارتن هرتمان (Martin Hartmann) فى عام ١٩٠٠ م .

وللعلماء العرب الذين قاموا بتدريس اللغة العربية واللغات العامية فى معاهد اللغات الشرقية ولهجاتها فى الغرب ، بحوث فى اللهجات ، نذكر منها :

« رسائل فى العربية العامية » لمحمد عياد الطنطاوى الذى كان مدرساً للغة العربية فى الجامعة الامبراطورية فى بطرسبرج (لينينجراد) فى روسيا ، وتوفى سنة ١٨٧١ م . و « اللغة العربية العامية فى مصر والشام » لميخائيل صباغ السورى ، الذى كان مدرسا للغة العربية فى باريس ، والمتوفى سنة ١٨١٦ م .

ولميخائيل الفغالى الذى كان مدرساً للغة العربية فى جامعة «بوردو » فى فرنسا بحوث فى اللهجات أهمها : لهجة أهل كفر عبيدا (قرية لبنانية) وقد طبع فى باريس عام ١٩١٩ م .

وكان لمؤتمرات المستشرقين الدولية أثر فى توجيه اهتمام العرب نحو دراسة لهجاتهم ، فقد بحث موضوع دراسة اللهجات العربية فى أكثر من مؤتمر للمستشرقين .

وقد ألقى المرحوم حفنى ناصف فى مؤتمر المستشرقين الذى عقد فى ڤينا عام ١٨٨٦ م . بحثاً عنوانه « مميزات لغات العرب وتخريج اللغات العامية عليها وفائدة علم التاريخ من ذلك » وهو مطبوع.

كل هذه البحوث وجهت أنظار علمائنا نحو دراسة اللهجات العربية الحديثة ، دراسة علمية صحيحة ، فعندما أنشئ مجمع اللغة العربية ، نص فى قانونه الذى صدر فى ١٣ من ديسمبر سنة ١٩٣٢ على أن من أغراض المجمع « تنظيم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية[١] » .

وألفت فى المجمع لجنة خاصة لدراسة اللهجات ، ولأعضائها وخبرائها بحوث قيمة فى هذا المجال . وكان من رأى الأستاذ عباس محمود العقاد ، عضو المجمع ، وعضو لجنة اللهجات فيه ، أن دراسة اللهجات العربية من أنفع أغراض المجمع فى خدمة اللغة الفصحى ، إذ يقول : « من أغراض المجمع دراسة اللهجات العامية فى مصر وسائر الأقطار العربية ، ونحسب أنه من أنفع أغراض المجمع فى خدمة اللغة الفصحى ، لأننا نساير اللهجة العامية فى تعبيراتنا وتصرفنا فيها ، ونقيس عليها ، فنخلص من المشابهة حيناً والمخالفة حيناً ، إلى شىء من الأصول التى جرت عليها اللغة الفصحى فيما يقابل هذه التعبيرات أو هذه التصرفات[٢] » .

وخطت دراسة اللهجات العربية خطوة أخرى إلى الأمام ، على أيدى المبعوثين العرب الذين أوفدوا إلى الجامعات الأوربية لدراسة « علم اللغة العام » .

وفى طليعة هؤلاء أستاذى الدكتور إبراهيم أنيس ، الذى نال الدكتوراه من جامعة لندن برسالته فى « لهجة القاهرة » ، ثم اضطلع بأعباء الدراسة اللغوية الحديثة ، فى الأصوات اللغوية وفى اللهجات العربية ، وغيرها من الاتجاهات اللغوية .

وفى مقدمة كتابه « فى اللهجات العربية » الذى يعد أول مؤلف باللغة العربية يتناول اللهجات العربية القديمة على أسس علمية سليمة ، استحث الهمم على العناية بدراسة اللهجات العربية ، قديمها

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية حـ ١ ص ٧ ، وقد ظلت هذه الفقرة فى قانون المجمع بعد تعديله ، وبعد إنشاء « مجمع اللغة العربية للجمهورية العربية المتحدة » فى عام ١٩٦٠ ، حيث نص فى قانون المجمع (مادة ٤ فقرة حـ) على أن ينظم المجمع دراسة علمية للهجات العربية فى الأقطار المختلفة .

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية حـ ١٠ - ١٠٧ .

وحديثها ، « راجياً ألا يمر زمن طويل قبل أن نرى بحوثاً جليلة تكشف لنا عن كل أسرار اللهجات العربية » .

ويبين سيادته أهمية دراسة اللهجات العربية الحديثة دراسة علمية صحيحة ، إذ تعتبر من أهم الأسس التى تعتمد عليها دراسة اللهجات العربية القديمة التى رويت متناثرة فى بطون الكتب اللغوية والأدبية يتخللها خلط ولبس ، والسبيل إلى تحقيق روايات هذه اللهجات وتخليصها من الخلط واللبس هو دراسة اللهجات العربية الحديثة ، فضلاً عن أن هذه اللهجات تكون مرحلة تاريخية من حياتنا الاجتماعية ودراستها تسجيل لهذه المرحلة ، إلى جانب ما فى هذه الدراسة من إشباع رغبة العلماء فى الدراسة الأكاديمية البحت .

وعلى هذا الدرب سار بعض تلاميذ الدكتور إبراهيم أنيس : فقدم الدكتور تمام حسان بحثاً فى «لهجة الكرنك »[1] وآخر فى « لهجة عدن » نال بهما الماجستير والدكتوراه من جامعة لندن .

وقدم الدكتور عبد الرحمن أيوب بحثاً فى «لهجة الجعفرية[2] » وآخر فى «لهجة النوبة » نال بهما الماجستير والدكتوراه من جامعة لندن .

وقدم الدكتور كمال بشر « دراسة نحوية فى اللهجة اللبنانية » نال بها الدكتوراه من جامعة لندن أيضاً .

كل هذه البحوث باللغة الإنجليزية .

وفى عام ١٩٥٨ م قدم إلى كلية الآداب بجامعة القاهرة ، بحث باللغة العربية ، موضوعه : « من لهجات الجزيرة وآدابها فى السودان » نال به مؤلفه الدكتور عبد الحميد طلب درجة الدكتوراه[3] .

أما بعد ، فهذا بحثى ، موضوعه « دراسة لغوية فى لهجات البدو فى مصر » أعددته بإشراف أستاذى الدكتور إبراهيم أنيس .

---

(١) من أعمال مركز أبى طشت بمحافظة قنا .

(٢) من أعمال مركز السنطة بمحافظة الغربية .

(٣) من البحوث التى أجريت بعد تقديم هذه الرسالة ، لهجة الفلاحين فى محافظة الشرقية (رسالة دكتوراه بالألمانية) للدكتور فهمى أبو الفضل ، ولهجة شمال المغرب : تطوان وما حولها (رسالة دكتوراه باللغة العربية) للدكتور عبد المنعم عبد العال .

وقد آثرت لهجات البدو بالدرس بعد أن تبين لى من خلال الإشارات العابرة إليها ، فى بعض المؤلفات اللغوية الحديثة ، أنها تشتمل على ظواهر لغوية ، جديرة بأن تدرس ، وتكشف أسرارها .

من هذه الإشارات : أن الضاد التى ينطق بها البدو فى مصر ، كالضاد التى ينطق بها العراقيون — تشبه — إلى حدما — الظاء ، وتشبه الضاد العربية كما وصفها القدماء[1] ، وأن البدو يحركون الوسط الصحيح الساكن للكلمة الثلاثية[2] ويميلون الألف اللينة نحو الياء ، كإمالتها فى اللهجات القديمة[3] . إلى جانب ماقيل من أن « لهجات القبائل العربية النازحة إلى مصر أدنى فى ناحيتها الصوتية إلى العربية الفصحى من لهجات المصريين أنفسهم[4] » .

هذه الإشارات التى لاتغنى فى وصف لهجة ، بل تدفع إليها ، مضافاً إليها أن لهجات البدو فى مصر لم تتناول فى دراسة علمية مستقلة ، هى التى حفزتنى إلى إيثار لهجات البدو بالدرس . .

والمنطقة التى حددتها لدراسة لهجات البدو فيها ، هى منطقة « إقليم ساحل مريوط » وتطلق جغرافياً على المنطقة الشمالية من صحراء مصر الغربية ، وهى المنطقة الممتدة من غربى الإسكندرية حتى الحدود التى تفصل بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة الليبية المتحدة ، وتمتد شمالا إلى البحر المتوسط ، وجنوباً إلى هضبة الصحراء الليبية المعروفة بصحراء الدفة ، التى تبعد عن البحر بنحو ستين كيلو متراً فى بعض المناطق ، وأربعين فى بعض[5].

وآثرت هذه المنطقة على غيرها من مناطق البدو ، لأن سكانها جميعاً — فيما عدا قلة ضئيلة لاتذكر — من قبائل بدوية مترابطة ، حتى إن بدو المنطقة يسمون جميعاً « قبائل أولاد على » باسم أكبر قبيلة من قبائل البدو فى الصحراء ..

أما دراستى لهذه اللهجة فهى دراسة لغوية وصفية ، تحليلية ، تسجل أهم الظواهر اللغوية للهجة ، من النواحى الصوتية ، والصرفية ، والنحوية ، وتشرحها وتضع القواعد التى تخضع لها هذه الظواهر ..

---

(١) الدكتور إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية : ٧٣ والدكتور على عبد الواحد وافى : علم اللغة : ٢٢٠

(٢) الدكتور إبراهيم أنيس : مجلة مجمع اللغة العربية ج ١٠ : ٨٩

(٣) الدكتور على عبد الواحد وافى : علم اللغة ٢١٩

(٤) المصدر السابق : ٢٠٩

(٥) الدكتور محمد صفى الدين وآخرون : دراسات فى جغرافية مصر : ١٣٠ ، ٢٣٩

وقد عللت لما أمكن تعليله منها، وقارنت — بعد الوصف والشرح — أحياناً بين مسلك اللهجة ومسلك اللغة العربية الفصحى، أو بين مسلك اللهجة ومسلك غيرها من اللهجات العربية الحديثة . .

والمنهج الذى سلكته فى تسجيل اللهجة هو منهج الملاحظة المباشرة الخارجية بشكليها الإيجابى والسلبي، والملاحظة غير المباشرة عن طريق التسجيلات الصوتية التى قمت بها .

وقد اقتضانى جمع المادة اللغوية، وتسجيل اللهجة ، أن أقيم بين هؤلاء البدو، وأتردد عليهم، فى فترات مختلفة، خلال عامى ١٩٥٨ و ١٩٥٩ .

وقد شملت زياراتى المنطقة كلها — تقريباً — من العامرية غربى الإسكندرية إلى السلوم التى تبعد عن الإسكندرية بستة وخمسمائة كيلو متر .

وفى هذه الزيارات اختلطت بالبدو، وشهدت مجالسهم وأسواقهم، وانتخبت منهم رواة لغويين تلقيت عنهم اللهجة.وقد دونت فى ملحق البحث اسم كل راو، وموطنه، والقبيلة التى ينتمى إليها، والنص الذى تلقيته عنه .

ولما تم لى جمع مادة لغوية صالحة، شرعت فى دراستى اللغوية التى جعلتها على ثلاث مراتب :

١ — مرتبة الصوت : وتشمل ما يدخل فى نطاق علم الأصوات العام (Phonetics) وعلم الأصوات التنظيمى أو علم التشكيل الصوتى : (Phonology) .

٢ — مرتبة الصرف : (Morphology) .

٣ — مرتبة النحو : (Syntax) .

أما أهم المصادر التى أسهمت فى تكوين هذا البحث، فيمكن تقسيمها إلى ثلاث مجموعات :

المجموعة الأولى : مصادر اعتمدت عليها فى الإلمام بمنهج الدراسة اللغوية، وطريقة دراسة اللهجة، وهى :

١ — اللهجات العربية : للدكتور إبراهيم أنيس، وبخاصة الفصل السابع الذى عرض فيه طرفاً من خصائص لهجة القاهرة .

٢ — اللهجات وأسلوب دراستها : للدكتور أنيس فريحة ، وبخاصة ما كتبه عن اللهجة وأسلوب درسها .

٣ — مناهج البحث فى اللغة: للدكتور تمام حسان،وبخاصة ما كتبه عن منهج دراسة الأصوات ، ومنهج التشكيل الصوتى ، ومنهج الصرف ، ومنهج النحو .

٤ — علم اللغة : للدكتور على عبد الواحد وافى ، وبخاصة ما كتبه عن مناهج البحث فى اللغة .

٥ — البحوث والمناقشات التى قام بها الأعضاء والخبراء فى لجنة اللهجات فى مجمع اللغة العربية .

٦ — ملخص بحث المستشرق الفرنسى « كانتينو » فى لهجة « تدمر »فى القطر السورى ، وهو مسجل باللغة العربية على شريط فى معمل الأصوات اللغوية بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية .

وفى اللغة الإنجليزية أفدت من هذين البحثين فى طريقة دراسة اللهجة :

1. A grammatical study of Lebanese Arabic.

وهو البحث الذى نال به مؤلفه الدكتور كمال بشر درجة الدكتوراه من جامعة لندن سنة ١٩٥٦ .

2. The Phonology of Colloquial Egyptian Arabic, by R. S. Harrell.

المجموعة الثانية : مصادر أفدت منها فى الدراسة الصوتية للهجة ، من أهمها :

١ — الأصوات اللغوية : للدكتور إبراهيم أنيس .

٢ — علم اللغة : للدكتور على عبد الواحد وافى ، وبخاصة ما كتبه عن أصوات اللغة .

وباللغة الإنجليزية رجعت إلى :

An Outline of English phonetics, by Daniel Jones.

المجموعة الثالثة : مصادر الدراسة الصرفية والنحوية .

وهى كتب النحو والصرف المشهورة مثل : كتاب سيبويه ، شرح الأشمونى ، شرح ابن عقيل ، مغنى اللبيب . .

إلى جانب كتاب « من أسرار اللغة » للدكتور إبراهيم أنيس ، وبخاصة ما كتبه عن الجملة العربية وأجزائها ونظامها ، وعن قصة الإعراب . .

هذا إلى المصادر التاريخية والجغرافية التى أفدت منها فى كتابة الباب الخاص بمنطقة البحث وسكانها . .

والمادة اللغوية التى اعتمدت عليها فى دراستى تلقيتها مشافهة من البدو ، ولاحظتها شخصياً ، وسجلت جانبا منها على أشرطة التسجيل الصوتى ، وتتضمن قصصا ، وأحاديث، ومحاورات ، وأمثالاً سائرة ، وشعراً بدويا . .

وقد أثبتُّ جانبا من المادة التى اعتمدت عليها فى دراسة اللهجة فى قسم خاص ألحقته بهذه الرسالة .

وفى بداية هذا الملحق بينت طريقة كتابة هذه النصوص ، والرموز التى اخترتها لكتابتها ، وهى — فى جوهرها — الطريقة التى أقرها مجمع اللغة العربية لكتابة نصوص اللهجات بحروف عربية ، بعد أن أضفت إليها بعض الرموز الجديدة وأدخل عليها بعض التعديل.

وفى نهاية الملحق قدمت شرحا — مرتبا ترتيبا معجميا — لما يحتاج إلى شرح من الكلمات الواردة فى الملحق ، أو فى صلب البحث ، مبينا أصولها اللغوية ما وسعنى ذلك .

وإنى لأرجو ، إذ أقدم هذا البحث ، أن يكون له مكان بين الدراسات اللغوية الحديثة .

والله ولى التوفيق .

عبد العزيز مطر